رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ

مترهورن الأسفار المقدسة (رومية ٨: ٣٥-٣٩)

تأليف: دفيد روبر

جبل مترهورن هو أحد أشهر وأبهى الجبال في العالم، يبلغ إرتفاعه ١٤,٦٩٢ قدم (أي ٤,٤٧٨ متر)، ويقع في سلسلة جبال الألب عند الحدود بين سويسرا وإيطاليا. مع أن تسلق هذا الجبل من الجانب السويسري صعب جداً، ألا انه يمكن للمحترفين في التسلق القيام بذلك بسهولة. ولكن الحال يختلف من الجانب الإيطالي، حيث يمثل هذا الجبل حائطاً قائماً وخطراً جداً. لم يتم الوصول إلى قمته من الجانب الإيطالي حتى ١٤ يوليو ١٨٦٥. لقد فقد ثلاثة من أفراد فريق التسلق، بما فيهم المرشد، حياتهم أثناء تسلق تلك السطوح. كانت أن أي عثرة أثناء التسلق تعني الموت حتماً. جبل المترهورن ليس شاهقاً كالقمم الأخرى المجاورة، ولكن له عظمة وجلالة فريدة. عند الشروق أو الغروب يكون لهذا الجبل توهج قرمزي. وله جمال «لا يوصف».

هناك نصوص كثيرة في الكتاب المقدس تذكرنا بجبل مترهورن. على سبيل المثال، لدينا نصوص مثل تثنية ٣٣: ٢٧؛ إشعياء ٤٠: ٣١؛ ميخا ٦: ٨. ولكننا سنأتي بمثال من العهد الجديد لهذا الدرس، إلى آيتين تسميان بأعظم تعبير مكتوب عن الإيمان - رومية ٨: ٣٨ و٣٩:

> فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتٌ وَلاَ حَيَاةٌ، وَلاَ مَلاَئِكَةٌ وَلاَ رُؤَسَاءُ وَلاَ قُوَّاتٌ، وَلاَ أُمُورٌ حَاضِرَةٌ وَلاَ مُسْتَقْبَلَةٌ، وَلاَ عُلْوٌ وَلاَ عُمْقٌ، وَلاَ خَلِيقَةٌ أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا.

لكي نقَدِّر «مترهورن الأسفار المقدسة» هذا، سأبدأ درسنا هذا بالأية ٣٥. ومن ثم «نجد طريقنا إلى السفوح مجازياً».

الصعود (٨: ٣٥-٣٧)

مشاكل يومية (الآيتان ٣٥-٣٧)

يبدأ نص درسنا هذا بسؤال بياني: «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ ...» (الآية ٣٥). يصف الأصحاح الخامس هذه المحبة:

> لأَنَّ الْمَسِيحَ، إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضُعَفَاءَ، مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لأَجْلِ الْفُجَّارِ. فَإِنَّهُ بِالْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدٌ لأَجْلِ بَارّ. رُبَّمَا لأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضًا أَنْ يَمُوتَ. وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا (الآيات ٦-٨).

من يفصلنا من تلك المحبة العجيبة؟ الإجابة المتضمنة لسؤال بولس هذا هي «لا أحد - لا شيء». كتب جون آر دبليو ستوت أن «رجاءنا كمسيحيين راسخ في محبة الله»[١].

وسع بولس السؤال الذي طرحه باعطاء قائمة من المحن التي كانت تواجه المسيحيين في أيامه: «... أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيْقٌ أَم اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟» (٨: ٣٥). الكلمات الأولى في هذه القائمة هي كلمات عامة تدل على الـ«اضطراب»، ولكن لكل منها تشديد خاص بها. كلمة «شدة» هنا هي من اليونانية «ثليپسيس θλῖψις» وتعني بصفة أساسية «عصر/ضغط»[٢]. وكانت هي الكلمة المستخدمة للإشارة إلى

---

[١] جون آر دبليو ستوت في تفسيره بعنوان «The Message of Romans: God's Good News for the World»، من سلسلة «The Bible Speaks Today» صفحة ٢٤٦.

[٢] دبليو إي فاين ومريل أف أنقر ووليم وايت جونيور في قاموس: «Vine's Complete Expository Dictionary of Old and New Testament Words»، صفحة ١٧.

عملية إستخراج العصير من العنب بالضغط عليه، أي عصره. هل اختبرت قط ضغط الاضطراب؟ هل سحقتك الحياة؟ إن كنت قد اختبرت ذلك، فانت تعرف ماذا تعني الكلمة «ثليپسيس θλῖψις».

كلمة «ضِيْقٌ» هنا مترجمة من كلمة يونانية مركبة «ستنوخوريا στενοχωρία» وتشير إلى مكان ضيق أو محصور («ستنوس στενός» {أي «ضيق»} بالإضافة إلى «خورا χῶρα» {أي «مكان»})[٣]. هل شعرت قط بانك محصور كما بين فكي الملزمة، حيث تشعر وكأنك مخنوق؟ إن كنت تعرف معنى الكلمة «ستنوخوريا στενοχωρία». يقال انه عند الجمع بين «ستنوخوريا» و«ثليپسيس» فانهما «تشيران بالتتابع إلى الأوجاع الخارجية والحزن الداخلي»[٤]. تشمل هاتين الكلمتين كل أنواع الاضطرابات والمشاكل التي يمكن تصورها.

أتت بعد المصطلحات المحددة المصطلحات العامة والتي تشير إلى ما واجهها المسيحيون في أيام بولس. الكلمة المترجمة هنا إلى «اضطهاد» («دياقموس διωγμός») تشير إلى المطاردة[٥]، اي كما يطارد الصياد الحيوان. يقال أن الكنيسة أتت إلى الوجود في منطقة محتلة وتحت دكتاتورين مستبدين اصطادوا المسيحيين واضطهدوهم. وكلمة «جوع» من اليونانية («ليموس λιμός») تعنى الافتقار إلى الطعام. و«عُرْيٌ» («قوموتس γυμνότης») الافتقار إلى ملبس، وقد يشير هذا إلى العواقب المالية الناتجة من إتباع المسيح.

وكلمة «خَطَرٌ» هي («كيندوموس κίνδυνος») وهي كلمة عاملة تشير إلى كل ما هو خطر؛ بينما كلمة «سيف» من («مخاريا μάχαιρα») وتتضمن عدد من المعاني الشريرة بما في ذلك الموت بالعنف والاعدام. يعقوب الذي كان أول من مات من الرسل قُتل بالسيف (أعمال ١٢: ٢). هناك شيء يكاد أن يكون تنبوء باستخدام كلمة «سيف» في قائمة المخاطر في هذه الرسالة إلى أهل رومية. كان السيف سيومض في روما مراراً وتكراراً بعد سنوات قليلة من ذلك الوقت وتشبع رمل ميادين مدينة روما بدماء المسيحيين.

أنظر مرة أخرى في القائمة وتصور الكلمات التالية مكتوبة بخطوط عريضة (مانشيت) في الصيحفة في يومنا هذا: «**شِدَّةٌ! ضِيْقٌ! اضْطِهَادٌ! جُوعٌ! عُرْيٌ! خَطَرٌ! سَيْفٌ!**» «قد تكون هذه الكلمات أي شيء آخر غير معانقات المحبة»[٦]. في الحقيقة، يبدو هذا العبء بالنسبة لمن لا يدري، كأن الله قد تركه أو حتى أن الله هو الذي جلب كل هذا. أكد بولس للمسيحيين أنه ولا واحد من هذه المخاوف تقدر أن تفصلهم من محبة الله.

كان بولس يقول هذا من موقف خبرته الشخصية. أنظر في سجلات المحن التي واجهها من أجل الرب: ٢ كورنثوس ٦: ٤ و٥؛ ١١: ٢٦ و٢٧؛ ١٢: ١٠. ستجد انه واجه كل المشقات الواردة ذكرها في رومية ٨: ٣٥ – جميعها ما عدا «سيف». لم يكن قد مات بحد السيف بعد، ولكن حسب رواية المسيحيين القدماء، مات أخيراً بحد السيف – وقد حدث ذلك في مدينة روما[٧]. هل استخلص بولس الرسول على أثر ذلك أن الله قد تركه أو أن الله أصابه بضرر؟ كلا، بل قال: «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي» (غلاطية ٢: ٢٠).

عند هذه النقطة من نص درسنا هذا، وقف بولس للحظة كي يضع التوكيد على أن المحن والاضطهادات شيئان طبيعيان وهما جزء من الحياة لله (راجع رومية ٥: ٣؛ ٨: ١٧؛ أعمال ١٤: ٢٢). وقد فعل هذا بالإقتباس من سفر المزامير: «كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ» (رومية ٨: ٣٦؛ راجع المزمور ٤٤: ٢٢).

يظن الكثيرون أن المزمور ٤٤ كُتب خلال سبي بابل (راجع الآيتان ١١ و١٤). وهو توسل إلى الله

---

[٣] دبليو إي فاين ومريل أف أنقر ووليم وايت جونيور في قاموس: «Vine's Complete Expository Dictionary of Old and New Testament Words»، صفحة ٢٧.

[٤] وليم هندريكسن في «Exposition of Paul's Epistle to the Romans» من «New Testament Commentary»، صفحة ٢٩٠.

[٥] دبليو إي فاين ومريل أف أنقر وليم وايت جونيور في قاموس: «Vine's Complete Expository Dictionary of Old and New Testament Words»، صفحة ٢٦٨.

[٦] لاري ديسون في تفسيره بعنوان «The Righteousness of God: An In-depth Study of Romans»؛ الطبعة المنقحة (سنة ١٩٨٩)، صفحة ٢٤٠.

[٧] يرجع هذا إلى التقاليد غير الموحى بها في الكنيسة القديمة.

من أجل إنقاذ الإسرائيليين من البلاوي التي حلت بهم (الآية ٢٦) كما كان قد أنقذ شعبه في الزمان الماضي (الآيات ١ إلى ٨). وكانت في قلب كاتب هذا المزمور هذه الصرخة «لأَنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ الْيَوْمَ كُلَّهُ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ» (الآية ٢٢). تدل عبارة «مِنْ أَجْلِكَ» على أن السببَ من آلامهم هو لأنهم كانوا يتبعون الرب[٨].

بما يختص بالعبارة «نُمَات{أي: نُقْتَل} اليوم كله»، ورد بالرسالة إلى العبرانيين تفسير مناسب لذلك: «رُجِمُوا، نُشِرُوا، جُرِّبُوا، مَاتُوا قَتْلاً بِالسَّيْفِ، طَافُوا فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ» (عبرانيين ١١: ٣٧). صورة «غنَم {معد} لَلذبح» يثير الشعور بالضعف. استخدم بولس النص الذي اقتبسه من المزمور ٤٤ ليؤكد على فكرة بان الذين يتبعون الرب قد يتوقعون سوء المعاملة من قبل الآخرين.

وعد إلهي (الآية ٣٧)

إذا كان سوء المعاملة من نصيبنا، أيجب أن نيأس؟ كلا. أشار بولس في الآية ٣٧ إلى المحن المذكورة في الآية ٣٥ وقال: «وَلكِنَّنَا فِي هذِهِ جَمِيعِهَا {أي في: شِدَّةٌ وضِيْقٌ واضْطِهَادٌ وجُوعٌ وعُرْيٌ وخَطَرٌ وسَيْفٌ} يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا». تُرجمت عبارة «يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا» من كلمة يونانية واحدة «هوپرنيكومن ὑπερνικῶμεν». أستخدمت هذه الكلمة اليونانية النادرة هذه المرة الواحدة فقط في الأسفار المقدسة بأسرها. وتجمع بين حرف الإضافة «فوق» («هوپر») بالإضافة إلى كلمة معناها «ينتصر» («نيكاو νικάω»). الصيغة اللاتينية لكلمة «فوق» هي «سوپر super». قدم سي إي مَكارتني المثال التالي:

> عندما أخبر اللورد نيلسون الأميرال البريطاني بانتصاره العظيم على الأسطول الفرنسي في معركة النيل، قال أن «النصر» لم تكن كلمة كبيرة بما فيها الكفاية لوصف ما قد حدث.
> عندما تحدث بولس عن النصر الذي حققه بالمسيح يسوع على جميع الشرور والمعاندين والتجارب وويلات الحياة، لم تكفي تلك الكلمة العظيمة «نصر» لوصف ذلك، ولهذا قال: «يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا[٩] بِالَّذِي أَحَبَّنَا»[١٠].

هناك عدة طرق يعظم بها انتصار المسيحيين. يعظم انتصارنا لأننا لا نبقى على قيد الحياة عندما تواجهنا المشاكل فحسب، بل ننتصر عليها انتصاراً ظافراً. «يعظم انتصارنا» لأننا لا نتغلب على تحديات الحياة فحسب، بل (بعون الله) نستخدم تلك التحديات لننمو. وفوق كل هذا، «يعظم انتصارنا» لأن نعمة الله تجعلنا نفوز في المعركة على غرائب كبيرة. وفي النهاية سندخل إلى حضرته وننال مكافأة تفوق كل ما قد نتصوره.

عند تأملك بالوعد العجيب المذكور في الآية ٣٧، أرجو ألا تتغاضى عن عبارة «بِالَّذِي أَحَبَّنَا»[١١]. لم يكن بولس يشجع الاعتماد على النَفس، بل الاعتماد على المسيح. قال: «أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي» (فيلبي ٤: ١٣). وقال أيضاً أن الله «يُعْطِينَا الْغَلَبَةَ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١ كورنثوس ١٥: ٥٧). يحاول العالم الحصول على النصر من غير يسوع. وأما بولس فقال أن النصر {الحقيقي} ممكناً به هو وحده.

القمة (٨: ٣٨ و٣٩)

اقتناع بولس (الآيتان ٣٨ و٣٩)

كان ذلك صعود بولس إلى القمة. يجب أن نستعد للمشاهدة من على القمة. تبدأ رومية ٨: ٣٨ هكذا: «فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ ...». استخدم بولس هنا صيغة المجهول للكلمة اليونانية «پيثو πείθω» (أي «يقنع») وتدل على

---

[٨] السبب الرئيسي الذي سمح الله من أجله أن يؤخذ الأسرائليون إلى سبي بابل هو خطاياهم المتواصلة بالإضافة إلى عدم توبتهم. كانت لعبوديتهم صلة مباشرة أو غير مباشرة بكونهم شعب الله الخاص.

[٩] تقول ترجمة كتاب الحياة في هذه الآية: «... ما يفوق الانتصار»؛ جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٨.

[١٠] سي إي مكارتني، وقد ورد هذا الاقتباس في موسوعة پول لي تان بعنوان «Encyclopedia of 7,700 Illustrations» (طبعة سنة ١٩٧٩)، صفحة ٥٢٠.

[١١] لا ندري لماذا استخدم بولس صيغة الماضي هنا. ربما كان يقصد بصفة أساسية محبة المسيح في الصليب. أو ربما أراد أن يؤكد أن محبة الرب ثابتة ولا تتغير.

الإقناع التام الذي لا لبس فيه.

ما الذي كان بولس متيقن منه؟ كان بولس قد طرح السؤال: «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ ...» (الآية ٣٥). وها هو الآن يجيب على سؤاله:

> فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتٍ، وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً، وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ، وَلاَ خَلِيقَةً أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا (الآيتان ٣٨ و٣٩).

إشتملت قائمة بولس على عشرة أشياء كان يمكن أن تفصلنا عن محبة الله. قد نعتبرها مثل الثلج والجليد، والعواصف الشديدة، والتشققات الخطرة (في الأرض أو نهر جليدي)، والأسوار العمودية للمترهورن الروحي. ولكن في كل هذا «يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا» (آية ٣٧). لا يقدر ولا واحد من هذه الأشياء أن يفصلنا من محبة الله.

أفحص الآيتان ٣٨ و٣٩ للحظة من قائمة بولس هذه. وردت في الجزء الأول منهما الكلمات التالية: «موت»، «حياة»، «ملائكة»، و«رؤساء»، و«قوات»[١٢]، «أمور حاضرة ومستقبلة». وبعد ذلك الكلمتان «علو» و«عمق»، ثم «خليقة أخرى». لم يكن قصد بولس أن يعطي بالتفصيل كل العوائق التي تمر بالحياة، بل أن يقدم نماذج منها. لقد جمع هذه الكلمات لكي يضع التوكيد على أنه ليس هناك شيء مهما كان يقدر أن يفصلنا عن محبة الله.

لا يجب بالضرورة أن نتمادى في تحليل كل ما ورد ذكره. كتب جي دبليو مكغارفي أن بولس قدم «قائمة رائعة بأشياء لها مثل هذه العظمة والأبهة بحيث لا يمكن وصفها دون التقليل منها»[١٣]. ومع ذلك قد تكون هناك قيمة في النظر في السبب الذي ربما جعل بولس يقدم كل من هذه الكلمات. بأي طريقة قد تفصلنا كل منها من الرب؟

(١) الموت و(٢) الحياة: «موت» (اليونانية: «ثناتوس θάνατος»)، ربما ورد ذكرهما أولاً لأنه قد يعتبرهما آخرون بانهما العدو الأكثر رعبة نواجهه. الموت بالنسبة لغير المؤمن هو النهاية. يكتب من ليس له إيمان: «عزيزي جون غير موجود في ما بعد»، ولكن الموت لا يقدر أن يفصل المسيحي عن الله ومحبته. قال شخص ما: «لا يفقدنا الله في تراب الموت». بالنسبة للمسيحي الأمين ليس الموت حائطاً، بل باباً (باباً يقود إلى حضرة الرب). كتب بولس قائلاً: «لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ» (فيلبي ١: ٢١). وأكد للمسيحيين في كورنثوس قائلا: «ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ» (١ كورنثوس ١٥: ٥٤).

بعد ذلك وردت كلمة «حياة» (اليونانية: «زو ζωή»). يجد الناس أحياناً أن مواجهة الحياة أصعب من مواجهة الموت. يصف المتشائمون الحياة بانها مضطربة ومرض وغش وحكاية من قبل الأحمق لا تعني شيء والعقوبة بالسجن بسبب جريمة الولادة. مهما تأتي به الحياة إليك أنت شخصياً يجب ان تعرف انه لا يفصلك عن محبة الله وعنايته بك. كتب بطرس قائلاً: «مُلْقِينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ، لأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ» (١ بطرس ٥: ٧). لقد اقتبستُ قبل لحظات فيلبي ٤: ١٣. لنتأمل في تلك الآية في هذا السياق:

> ... قَدْ تَعَلَّمْتُ أَنْ أَكُونَ مُكْتَفِيًا بِمَا أَنَا فِيهِ. أَعْرِفُ أَنْ أَتَّضِعَ وَأَعْرِفُ أَيْضًا أَنْ أَسْتَفْضِلَ. فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ قَدْ تَدَرَّبْتُ أَنْ أَشْبَعَ وَأَنْ أَجُوعَ، وَأَنْ أَسْتَفْضِلَ وَأَنْ أَنْقُصَ. أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي (فيلبي ٤: ١١-١٣).

(٣) ملائكة و(٤) رؤساء: الكلمة اليونانية للـ«ملائكة» (صيغة الجمع لكلمة «ملاك» {«أنجلوس ἄγγελος»}) معناها «رسل» {أي الذين يُرْسَلون}، وقد تشير إلى رسل بشر أو إلى رسل سماويين، أي ملائكة. من المحتمل أن بولس قصد هنا رسل سماويين. لا نعلم يقيناً لماذا ادخل بولس كلمة «ملائكة» في هذه القائمة. ولكن كان هناك بعض الناس في زمان العهد الجديد يعبدون الملائكة (كولوسي ٢: ١٨). علاوة على ذلك يعلمنا الكتاب المقدس عن ملائكة غير صالحين (راجع

---

[١٢] وردت كلمة «قوات» في بعض الترجمات في نهاية الآية ٣٨.

[١٣] جي دبليو مكغارفي وفيلب بندلتون في تفسيرهما بعنوان «Thessalonians, Corinthians, Galatians and Romans»، صفحة ٣٧١.

رؤيا ١٢: ٧). حذر بولس قائلاً: «وَلكِنْ إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ أَنَاثِيمَا!» (غلاطية ١: ٨). ربما كان بولس يحذر في رومية ٨: ٣٨ ويقول «أن الملائكة برغم ما يملكون من قوة، إلا انه ليس هناك ملاكاً ولا مجموعة من الملائكة (صالحين كانوا أم أشرار) لهم قوة ليفصلكم عن محبة الله».

تُرجمت كلمة «رؤساء» في النص الذي نحن بصدده من الكلمة اليونانية «أرخه ἀρχή» وتعني حرفياً «بدء» وقد تعنى «الأول من حيث السلطة». كانت تُستخدم هذه الكلمة للتعبير عن رؤساء الشعب (لوقا ١٢: ١١)، ولكن كان بولس يستخدمها عادة للإشارة إلى القوات الشيطانية التي تحاول تدميرنا روحياً (راجع أفسس ٦: ١٢). برغم القوة الهائلة لهذه الكائنات، الا أن المسيح انتصر عليها بالصليب (راجع كولوسي ٢: ١٤ و١٥؛ ١ بطرس ٣: ٢٢)؛ أصبح مصيرهم محتوم (راجع ١ كورنثوس ١٥: ٢٤).

الجمع بين الـ«ملائكة والـ«رؤساء» في هذه الجملة ربما هو طريقة بولس للقول: «ليست هناك قوات روحية لها ما تكفي من القوة لفصلنا عن محبة الله». «كما قال سي اس لويس بحكمة اننا نميل إما إلى التغاضي عن إبليس وأتباعه أو نبالغ في اعطائهم الفضل»[١٤].

(٥) قوات: الكلمة اليونانية لكلمة «قوات» هي من «دوناميس δύναμις». استخدم بولس عادة صيغة الجمع منها للإشارة إلى قوات روحية[١٥]، مما يجعل هذه الكلمة هنا تشير إلى الـ«ملائكة» والـ«رؤساء» الذين سبق ذكرهم. ولكن بما أن الصيغتين السابقتين تكفيان لتضمين جميع القوات الروحية التي تحارب المسيحية، ربما قصد بولس هنا المتعاونون مع تلك القوات الشيطانية: السلاطين {الرؤساء} البشر الذين يطغون على المسيحيين. مثال لذلك هو عندما أمر سلطات اليهود الرسولان {بطرس ويوحنا} أن «لاَ يَنْطِقَا الْبَتَّةَ، وَلاَ يُعَلِّمَا بِاسْمِ يَسُوعَ» (أعمال ٤: ١٨).

هناك مثال آخر وهو الأمبراطور الروماني الذي أصبح أخيراً معاند المسيحية الأكثر حماسة. يعرف البعض من قُرَّاءنا ماذا يعني مواجهة هذا النوع من الاضطهاد. للحكومات البشرية قوة {سلطان} لأن تلقيك في السجن، ولكنها لا تملك قوة لتفصلك عن محبة الله.

(٦) أمور حاضرة (٧) وأمور مستقبلة: بعض الناس انسحقوا في مشاكل يومنا هذا، بينما آخرين مضطربين بما قد يجلبه الغد. قال أفرت هاريسون انه ليست للزمان قوة على المؤمنين، «سواء كان ذلك هو الوقت الحاضر بتجاربه وآلامه أو المستقبل بشكوكه»[١٦]. لقد قال الله: «لاَ تَخَفْ لأَنِّي مَعَكَ. لاَ تَتَلَفَّتْ لأَنِّي إِلهُكَ. قَدْ أَيَّدْتُكَ وَأَعَنْتُكَ وَعَضَدْتُكَ بِيَمِينِ بِرِّي» (إشعياء ٤١: ١٠)[١٧]. طالما أيادينا باقية في يدي الله، نبقى «رَاسِخِينَ، غَيْرَ مُتَزَعْزِعِينَ» (١ كورنثوس ١٥: ٥٨). مهما يحدث «نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ» (رومية ٨: ٢٨). لهذا «لا الأمور الحاضرة ولا الآتية ... تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي لنا في المسيح يسوع» (ترجمة كتاب الحياة؛ جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٨).

(٨) علو (٩) عمق: الكلمتين «علو» و«عمق» هما أكثر الكلمتين إبهاماً في القائمة التي قدمها بولس. وقد سميتا بـ«الكلمتين المزدوجتين الأصعب تفسيراً»[١٨]. عندما أقرأ هاتين الكلمتين أتذكر ما ورد في المزمور ١٣٩. قال كاتب هذا المزمور أنه مهما صعدنا ومهما نزلنا، لا نستطيع الهروب من حضرة الله:

أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟
وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟
إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ،
وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ.

---

[١٤] دوغلاس جي موو في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية «Romans» من مجلد «The NIV Application Commentary»، صفحة ٢٨٧.

[١٥] راجع ١ كورنثوس ١٥: ٢٤؛ أفسس ١: ٢١؛ ١ بطرس ٣: ٢٢. وردت في هذه الآيات صيغة الجميع في اللغة الأصلية للكلمة «دوناميس δύναμις».

[١٦] ورد هذا الاقتباس في تفسير ليون موريس بعنوان «The Epistle to the Romans»، صفحة ٣٤١.

[١٧] تقول ترجمة كتاب الحياة في هذه الآية: «لا تتلفت حولك جزعاً، لأني إلهك، أشددك وأعينك وأعضدك بيمين بري». ترجمة كتاب الحياة، جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٨.

[١٨] دوغلاس جي موو في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية «Romans» من مجلد «The NIV Application Commentary»، صفحة ٢٨٤.

إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ،
وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ،
فَهُنَاكَ أَيْضًا تَهْدِينِي يَدُكَ
وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ (المزمور ١٣٩: ٧-١٠).

يستخدم بعض المفسرين كلمتي «علو» و«عمق» بالمفهوم المجازي. فيتحدثون عن «علو {أي قمة}» الرخاء، و«عمق» البؤس[١٩]، أو علو {قمة} الفرح، و«عمق» الحزن، أو علو {قمة} النجاح وعمق الفشل. عندما أتصور مجازيا أنني بلغتُ العلو {القمة}، أتذكر جيمس قرفيلد عضو كنيسة المسيح الذي كان قد عمل واعظاً وشيخاً في الكنيسة قبل أن يكون رئيساً للولايات المتحدة. طلب مبشر شاب من قرفيلد أن يقترح له نص كتابي للوعظ. فاقتبس قرفيلد من المزمور ١٧: ١٥: «... أَشْبَعُ إِذَا اسْتَيْقَظْتُ بِشَبَهِكَ». ولم يطل الزمان بعد ذلك حتى فصلت طلقة المغتال قرفيلد من هذه الحياة ولكن ليس من محبة الله. عندما أتصور «الذهاب إلى الأعماق» أتذكر أيضاً كلمات كاتب مزمور المليئة بالمعاني: «مِنَ الأَعْمَاقِ صَرَخْتُ إِلَيْكَ يَا رَبُّ» (المزمور ١٣٠: ١).

يقول بعض المفسرون بأنه قد أُستُخدمت كلمتي «علو» و«عمق» في فلسفة التنجيم الوثني في القرن الأول {الميلادي}. تشير كلمة «علو» إلى نجم في أعلى موقعه في السماء، وكلمة «عمق» للإشارة إلى أدنى موقع له. كان الوثنيون يعتقدون أن موقع النجوم يؤثر على مسار حياتهم أو حتى يتحكم فيه. ربما هذا النوع من الهذيان المغري مشمول في الكلمتين «علو» و«عمق». يوضح كلام بولس الموحى به أنه لا يجب إزعاج البشر بمثل هذه الخرافة الحقيرة. ليس هناك شيء يقدر أن يفصلنا من محبة الله.

(١٠) خليقة أخرى: الشيء الأخير في هذه القائمة شبيه بعبارة بولس القائلة «مثل هذه {الأشياء}» (راجع غلاطية ٥: ٢١) والكلمة الشاملة «إلخ.» كأن بولس قد وقف للحظة وقال في نفسه «هل هناك شيء لم أذكر؟ يمكنني أن يكون ذلك من ضمن العبارة التالية: خليقة أخرى».

فكر بهمك الأكبر أو خوفك الأكبر[٢٠]. فكر بأكبر كارثة ممكنة. مهما تواجهه من اضطرابات، يجب أن تعرف ان هذه الاضطرابات أو أية خليقة أخرى لا تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا. لا يمكن أبداً أن تخرج خارج نطاق محبة الله!

زار العالم أتش سي جي مولي كولوسيوم روما ليلاً. فسأله شخص ما: «أتريد تذكاراً؟» قال: «اجمع تراب الكولوسيوم فانها الشهداء. وبضو القمر قرأ مولي وأصحابه الفقرة الأخيرة من الأصحاح الثامن من الرسالة إلى أهل رومية. «ثم شكروا {الله} الذي نصر قديسيه على الحياة والموت، وعلى الوحوش والناس، وعلى الشياطين»[٢١].

حماية بولس (الآية ٣٩)

أليس المشهد من قمة جبل مترهورن الروحي مثير للرهبة؟ قف هنا للحظة؛ أرجو ألا تترك الآية ٣٩ بهذه السرعة. أنهى بولس هذه الآية بعبارة «... محبة الله التي لنا في المسيح يسوع ربنا» (الآية ٣٩). الوعد العجيب الوارد في الأصحاح الثامن من الرسالة إلى أهل رومية هي للذين «في المسيح» فقط (٨: ١؛ راجع ٦: ٣ و٤) الذين يعيشوب حسب الروح (راجع ٨: ١٢ و١٣).

من الرائع أن نأتي بالفكرة الواردة في الآيات ٣٥ إلى ٣٩ ونتركها في قمة الاحساس. للأسف يستخدم البعض هذه الآيات ليعلموا أنه يستحيل للمسيحي أن يضل. لهذا لا بد من مزيد من التفسير. لاحظ أخي كوي أن هناك شيئين لم يذكرهما بولس في الآيتين ٣٨ و٣٩، وهما الخطيئة والشخص نفسه[٢٢]. يعلمنا الكتاب

---

[١٩] مقتبس من جون لوك في تفسير جيمر بارتون كوفان بعنوان «Commentary on Romans»، صفحة ٣٢٤.

[٢٠] أذكر المخاوف المعينة التي قد تكون لدى مستمعيك؛ على سبيل المثال: حروب، اعمال ارهابية، القنابل النووية، الكوارث الطبيعية، الهموم المختصة بالبيئة، الطلاق المنتشر، السلوك الاخلاقي المتدني أو مشاكل الكنيسة.

[٢١] هاندلي سي جي مولي في تفسيره بعنوان «The Epistle of St. Paul to the Romans» (الطبعة العاشرة، سنة ١٨٩٤)صفحتي ٢٤٢ و٢٤٣.

[٢٢] كوي روبر في منشوره بعنوان «The Transformed Life» من صادرات «Truth for Today» {الحقيقة لليوم}، صفحة ١٤.

المقدس أن الخطيئة تفصل الناس عن الله (إشعياء ٥٩: ١ و٢). بانه يمكن للمسيحيين أن يعيشوا حياة الخطيئة (راجع يعقوب ٥: ١٩ و٢٠). لهذا أضاف مكغارفي الشرط التالي: «ليس هناك ما يقدر أن يفصل التلميذ عن محبة الله غير إرادته هو نفسه»[٢٣]. لو كان من المستحيل للتلميذ أن يفصل نفسه عن محبة الله، لما كتب يهوذا قائلاً: «وَاحْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ فِي مَحَبَّةِ اللهِ» (الآية ٢١).

ولكن لننتقل مما هو سلبي. لنفرح باننا كأبناء الله الأمناء، لا يقدر شيء ما أن يفصلنا عن محبته التي لا نظير لها!

الخلاصة

رومية ٨: ٣٨ و٣٩ «مترهورن الأسفار المقدسة»: «لا أعرف طريقة أفضل لختام النصف الأول من الرسالة إلى أهل رومية! ربما يجب تقديم كلمة تحذير. من الأسهل أن نتعجب بالجمال الحرفي لهذا النص من أن نطبقه في حياتنا اليوميةونقبل الحقيقة انه مهما يحدث، الله يحبنا! شملتُ في مذكرتي عن هذا النص الفكرة التالية: «المكان الذي فيه يجب تعليم هذا، هو في البيت. ينبغي على الوالدين أن يطبعوا هذه الحقيقة على عقول أبناءهم: بغض النظر عما يحدث إلينا من الاضطرابت، الله معنا!». كتب هارلود هازيلپ ما يلي: «إذا أراد الشخص أن يحفظ عن ظهر القلب نصين أو ثلاثة فقط من الأسفار المقدسة، ينبغي أن يشمل ذلك على هذه الآيات {رومية ٨: ٣٥-٣٩}»[٢٤]. اسمح لي بإضافة الفكرة التالية: أرجو ألا تحفظها عن ظهر قلب فحسب، بل اجعلها جزء من منظورك للحياة.

مذكرة للمبشرين والمعلمين

يشدد هذا الدرس مرتين على أن وعود الله هي بالمسيح وفي المسيح. عندما تكرز بهذا الدرس، وضح كيف يصبح الشخص جزء من المسيح (رومية ٦: ٣ و٤؛ غلاطية ٣: ٢٦ و٢٧).

إن لم يعرف مستمعيك عن جبل مترهورن، قد تستبدله بقمة جبل أخرى تشبه هذا؛ والذي يعرفونها.

بدأتُ هذا الدرس بموعظة كرزتُ بها في الماضي. ربما أتت بعض الأفكار وبعض المواد من مصادر أخرى اهملتها منذ وقت طويل. إذا أدركت ذلك المصدر أرجو أن تخبرنا به.

---

[٢٣] جي دبليو مكغارفي وفيلب بندلتون في تفسيرهما بعنوان «Thessalonians, Corinthians, Galatians and Romans»، صفحة ٣٧١.

[٢٤] هارولد هزليب في كتابه بعنوان «Discipleship» من سلسلة «The 20th Century Sermons Series»، ١٦٠.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩